الآثار السلبية للحروب على العمران البشرى

أ.د / عبدالغنى عبدالفتاح زهرة

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالزقازيق – جامعة الأزهر

ملخص البحث:

اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالبيئة وعمارة الأرض، وأوصى بزراعتها لما للزراعة من دورها فى الحفاظ على البيئة من التصحر والجفاف وغير ذلك.

وشبه القرآن الأرض المزروعة والبساتين بالجنة، وأعدها من نعم الله على الإنسان .قال تعالى(:وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً .كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً)

سورة الكهف : آية (33–32 وقال تعالى) :كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُون .وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ .وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) سورة الدخان :آية 27–25

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمارة البيئة وزراعتها فقال":إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة– نخلة صغيرة– فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فليغرسها)"المنتخب من مسند عبد بن حميد – حديث رقم 1216

وهذا يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على عمارة البيئة وزراعتها حتى لحظة قيام الساعة .وقال صلى الله عليه وسلم موصيا أصحابه بعدم ترك الأرض بغير زراعة فقال":إذا كانت لأحدكم أرض فليمنحها أخاه أو ليزرعها)"سنن الترمذى – حديث رقم.(1384) .

وكان من عقاب الله لعباده إذا ما حادوا عن الطريق المستقيم وخالفوا شرائع الله أن تتعرض بيئتهم وأرضهم للحرق والتدمير . قال تعالى) :إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ .وَلا يَسْتَثْنُونَ .فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ .فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)(سورة القلم :آية.20 –17)

وقال تعالى(:أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ( )سورة البقرة :آية 266) .

وسار الصحابة على نهج نبيهم في الحفاظ على العمران البشرى، وخاصة فى أوقات الحروب فهذا هو أبوبكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى قادة جيوشه بالحرص على البيئة ، وما بها من زرع وعمارة ، فقال للقائد أسامة بن زيد وجيشه أثناء توجههم للقتال): يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ,ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحقروه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد

فرغوا أنفسهم في الصوامع ،فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) (تاريخ الطبرى – ج1 ص230)

وإذا كان السلام يساعد فى الحفاظ على البيئة ومكوناتها إلا أن الحروب أحيانا ما يكون لها قواعد مخالفة لهذا النهج الرباني والنبوى، وتجبر ظروف الحرب أحياناً أحد الطرفين أو كليهما للإضرار بالعمران البشرى بقصد أو بغير قصد ,وتلقى بآثارها السلبية وظلالها االمدمرة على الإنسان والبيئة، ولذلك كانت الحرب فى الإسلام للضرورة القصوى وليست ترفاً أو رغبة فيها ,وسنورد خلال البحث بعض الحروب التى أضرت بالبيئة وبالعمران البشرى ضرراً مباشراً ,وثار حولها جدل كبير ,واستمرت آثارها فترة من الزمن ,مثل غزوة بنى النضير ,وحروب المسلمين مع الكاهنة فى بلاد المغرب ,وثورة أهل الربض بقرطبة ,لتكون أمثلة لأثر الحروب السئ على العمران .وقد حاول المسلمون معالجة هذه الآثار السيئة قدر المستطاع ,مستندين فى ذلك إلى مبادئ التشريع الإسلامى التى أقرها الشرع لحماية البيئة والعمران ,والحفاظ عليهما .وهو ما سنعرفه إن شاء الله من خلال صفحات البحث.

DOI:10.12816/0036524